



حوار بين بلاديوس والقديس كيرلس عمود الدين<sup>1</sup>

....

**كيرلس:** مع أن الإنسان يميل دائماً للكسل، مع رغبته المستمرة في طلب الخيرات التي في متناول يديه، إلا أنه لا يرغب كثيراً في تلك الأمور التي يمكن أن تستعبده. ولكن إن حدث أن اجتذبت أي من تلك الأمور وهُزم من بريقها، فإنه سيشعر تلقائياً بالمعاناة مما كان يجب عليه أن يقاومه بكل قوة، حتى لو افترضنا أنه اثناء مقاومة هذا الهجوم لم تكن له الخبرة العملية في هذا الأمر.  
**بلاديوس:** هذا حقيقي.

**كيرلس:** إذاً هو أمر ضروري ومثال للحكمة، ومن الأمور الأكثر فاعلية، أن تُمنع بالحرى دوافع الشر، وكل ما يؤدي إلى تلك العبودية المسيطرة، ونحاول أن نصُد في الحال كل هذه الأمور التي إن سقطنا فيها، فسوف تحاصرنا كل أنواع الشرور.

**بلاديوس:** هذا صحيح

**كيرلس:** ولو لم يكن نير العبودية القاسى قد وضع علينا كغضب من الله (على عصياننا)، ولم يكن ذهننا لديه أية خيرة، ولما كان من السهل (في هذه الحالة) أن يكون لنا قدرة على المقاومة. وكان من المفيد، أن يكون لنا - ولو في ذاكرتنا فقط - هذا التساؤل: ماهى الحالة التي كنا عليها، وإلى أي حال تحولنا، ولكننا سنحزن بمرارة لعدم تيقظنا وغياب المعونة السماوية "لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخالص بلا ندامة وأما حزن العالم فينشئ موتاً"<sup>2</sup>. لكن ابتعاد الغضب الإلهى عنا، وعند امتلاك زمامنا وإرادتنا مميزين بين الاتجاهين أي بين الشر أو الصلاح، وذلك في حرية إرادة بغير إجبار على الاطلاق. لذلك يجب علينا أن نتحاشى بكل شجاعة حياة الترف كما يجب، وأن يستمر رفضنا للملذات التي يغرينا بها الأعداء، وبالتالي سنهرب من قبضة أولئك الذين يقولون أنهم رؤساء هذا العالم. وأما من يتمسك بأمور هذا العالم الحاضر فإنه سينتهى دوماً إلى نهاية رديئة وسيئة.

**بلاديوس:** كيف تقول هذا؟!

**كيرلس:** أتريد أن ندعم حديثنا بأمثلة من القدماء؟

**بلاديوس:** نعم ويا حبذا.

**كيرلس:** عندما عانى سكان الأرض من الجوع كما هو مكتوب، فكر أبناء يعقوب في النزول إلى مصر، كان عددهم عشرة شباب وكان هدفهم شراء طعام فقط. فبعد وصولهم إلى أرض مصر، تعرفوا على أخيهم (يوسف). كان يوسف حينئذ هو المسئول عن الأطعمة ومدبراً لمصر. وعندما علم فرعون ذلك قال ليوسف: "قل لأخوتك افعلوا هذا: احملوا دوابكم وانطلقوا واذهبوا إلى أرض كنعان. وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إليّ فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض. فأنت قد أمرت. افعلوا هذا، خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونساءكم واحملوا أباكم وتعالوا. ولا تحزن عيونكم على اثاتكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم". لقد وعدهم رئيس مصر بالراحة والخيرات العظيمة الوفيرة. لقد منحهم مركبات، جاعلاً بذلك النزول إلى مصر أمراً جذاباً حتى للمترددین منهم. فنزل هؤلاء فوراً بكل عائلاتهم مفضلين الاستمتاع الوقتى بالأطعمة على الوطن والأرض التي منحهم الله لهم. لأنه بالتأكيد كان من الأفضل أن تُستغل تلك الأرض بدلاً من الحصول على خيرات من أرض مصر بمشقة قليلة. وعند وصولهم إلى مصر، ظنوا أنهم سوف

<sup>1</sup> ( ) :

<sup>2</sup> 10 : 7



يتخلصون من متاعب الوطن، لذا كانت سعادتهم فقط في التمتع بالمباهج الوقتية. وبمرور الوقت ومع المعاناة والعبودية، بدأت هذه الجماعة النبيلة الحرة منذ القدم، أن تتأوه تحت هذا النير. إذ، إن كانت الرفاهية سوف تقودك إلى السيئات فيجب عليك أن تتجنبها يا صديقي، إذ أن الحياة في الحرية تتوقف على اختيارنا، بينما العبودية لها متاعبها في العمل والسلوك.

**بلاديوس:** لقد أحسنت القول.

**كيرلس:** أشكرك، لكن علينا أن نتحدث - بجانب كل ما ذكرته - عن ذلك، الذي يبدو ذو فائدة عظيمة.

**بلاديوس:** تُرى ما هو؟

**كيرلس:** أشكرك، لكن علينا أن نتحدث - بجانب كل ما ذكرته - عن ذلك، الذي يبدو ذو فائدة عظيمة.

**بلاديوس:** تُرى ما هو؟

**كيرلس:** إن ريشاقي البابلي، جندي الأشوريين، قاد جماعة جنود لا تحصي، وذهب لكي يحاصر المدينة المقدسة، متوقفاً أنه بسهولة سوف يحرق المدينة من أساسها، وقبل أن يستخدم أسلحته عاب في الذات الإلهية كما اعتاد دائماً، وهذا أمر معتاد بالنسبة له. وأعلن للمرة الأخيرة لسكان المدينة المقدسة: كل هذه الأمور يقولها ملك الأشوريين: "اعقدوا معي صلحاً واخرجوا إليّ وكلوا كل واحد من جفنته وكل واحد من تينته واشربوا كل واحد ماء بئرته. حتى أتى وأخذكم (كل واحد) ليرى أرضاً كأرضكم، أرض حنطة وخمر، أرض خبز وكروم أرض زيتون وعسل، واحيوا ولا تموتوا ولا تسمعوا لحزقيا لأنه يغركم قائلاً الرب ينقذنا"3. لاحظ أنه يعد بالملاطفة في المعاملة والتمتع بالكرم والتين ويضيف "وستشربون ماء من بئركم".

**بلاديوس:** لكن لو فحصنا هذه الأمور بالمفهوم الروحي، ماذا تعني بالنسبة لنا؟

**كيرلس:** اعتقد أن قوة الشر تتمكن منا بطريقتين. إما بالملذات الخارجية، أو بالغرائر المغروسة فينا. المتساهلون مع الخطية مقتنعون بها من ذواتهم. أما الذين تغويهم من الخارج، فإنهم ينفادون إلى المتعة ويُقضى عليهم منزلقين إلى أمور أكثر سوء. وعن ذلك يتحدث تلميذ المخلص حين يقول: "لأن كل مافي العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم."4 وبسبب أن شهوة الجسد هي فطرية ومتجذرة داخلنا ودائمة، لهذا فإن بولس العظيم يسمسها ناموس الخطية5 الذي يسكن في أعضائنا. أما شهوة العيون فهي المباهج والملذات الخارجية وكل ما يُرى بالعين. أي أن الناس تُعجب بالغنى الذي تراه بالعيون والملابس الحسنة والأشياء الأخرى التي يتمسك بها البعض، بسبب جلبها للسرور العظيم المزيف الذي يهتمون به اهتماماً كبيراً. لذلك فإن أوراق الكرمه والتين هي مثال للمباهج الخارجية والمكتسبة والاستمتاع بكل الأشياء التي في العالم، وهي تعطى بطبيعتها دليلاً قاطعاً أنها لذة وقتية وقصيرة الأجل. الأمر الذي يبدو حلواً، يصاحبه أمر آخر يجلب عادة ظلمة للنفس. ذلك لأن الاستمتاع بالعالم - يكون له مذاق وقتي حلواً، لكنه يخيم بظلامه المخيف وسطوته الممية على النفس التي تمارسه. "المنبع" - في هذا النص يشير إلى غرائزنا وأهوائنا الداخلية، التي لا تحدث من الخارج، مثل شهوة العين، لكنها تصدر من داخلنا، وتنساب من جسدنا نفسه. إذاً الأهواء الجسدية والأهواء التي تأتي من الخارج، تجلبان علينا حروب القوات الشريرة، وذلك بمشاركتنا الإرادية لها والاستمتاع بها. وعلى ذلك، فلو هجرنا فضيلة ضبط النفس والتي هي كالمدينة المقدسة وذهبنا إلى ريشاقي ملك بابل الذي وعدهم بالسعادة، وهو مثال للشيطان، الذي يعد بإعطاء السعادة أيضاً، لسقطنا حتماً في العبودية، مثل أولئك الذين رفضوا

32 31 :18 2 3

16 :2 1 4

23 :7 5



التفكير بطريقة حسنة، وأدركوا أن اختيار الشهوات العالمية سيتبعه على كل حال سقوط في تلك العبودية الحتمية، وبالتالي البقاء في زمرة المُستعبدين.

**بلاديوس:** أنت أصبت. لكن ما هو الحل المقبول؟ أجبني بوضوح بقدر ما تستطيع.  
**كيرلس:** وهل هناك حل آخر سوى ذلك المغاير للأول؟ لأننا إذ قد انزلقنا إلى شهوة الحياة الرذيلة بميل إرادتنا الخاصة، واضعين جانباً كرامة المدينة التي بلا لوم، وقطنا في الذهن المبتذل والمستعبد، واضعين أفكارنا في الأرضيات فقط، وملتصقين بالكامل بملذات الجسد، فإن الله قد سمح بالسقوط وأسلمنا إلى ذهن مرفوض.

**بلاديوس:** بناء على ذلك فإنه من الضروري أن نرجع ثانية إلى الفضيلة.  
**كيرلس:** بدون إبطاء يا صديقي، ولا نشتهي بعد حياة العالم، كما قال بولس الرسول: "لأنكم مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله." 6 لأننا متعطشون لكتابة أسمائنا في السماء، جاعلين وطننا ومدينتنا في السماوات، صارخين بقوة إلى الله: "لا تعاقبني لأنى غريب في الأرض مثل كل أبائى." 7 لأن ذلك الذى يعيش هنا على الأرض وله مدينة ذات بهاء في السماوات، يبدو غريباً ونزيراً بالنسبة لأهل العالم. لذلك فإن تلميذ المخلص بطرس يعلمنا بأن نسلك هكذا في هذا الأمر، إذ يقول لنا: "أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس." 8

**بلاديوس:** بالتالى، إن مثل هذا النوع من الاستعداد كاف لاقتناء الفضيلة، أعنى صد الشهوات الجسدية.

**كيرلس:** نعم، إن كان هذا الاستعداد يُكتسب بالحكمة والعمل الروحى. لأنه مكتوب: "أما وصيتك فواسعة جداً." 9 لذا فإنى أتصور أنه كان باستطاعتى أن أتحدث في الأمور التي تطهر النفس والجسد، بدلاً من تلك الأمور التي تلوثهما، وذلك بنفس القوة والفاعلية.  
**بلاديوس:** بالصواب تتكلم.

---

3 : 3	6
15 14 : 38	7
11 : 2	8
96 : 119	9